

زاهي وهبي: إبداع المرأة لم ينل ما يستحق

بيروت - لوريس الرشعيني



شهدت مسيرة الشاعر والإعلامي اللبناني زاهي وهبي في العامين الأخيرين نشاطاً ملحوظاً على مستوى النتاج الشعري والأدبي، فمن «يعرفك مايكل أنجلو» و«تتبرج لأجلي» و«راقصيني قليلاً»، إلى بدء صدور سلسلة كتب بعنوان «حبر وملح»، ستتابع حاضنة مجموعة المقالات التي كتبها ويكتبها وهبي، وقد صدر منها حتى الآن جزءان الأول أحاط فيه بمجموعة كبيرة تقارب الستين شخصية من أدباء وفنانين وإعلاميين، أما الجزء الثاني فقد تضمن مجموعة نصوص تدور حول القضية الفلسطينية.

وها هو اليوم يستعد لإصدار كتاب جديد بعنوان «قهوة سادة»، سيصدر قريباً بالتعاون مع وزارة الثقافة ضمن احتفالية «بيروت عاصمة عالمية للكتاب»، حيث يتناول فيه أحوال المقهى البيروتي، في قراءات نقدية تحليلية بعيدة عن السرد أو التوثيق، تسلط الضوء على المتغيرات التي أصابت ذلك المقهى الذي تحيا في ثنايا اصطفاقاته الخشبية بذور التغيير، وتنضج بين أصوات تلاطم المعدن المذوب للسكر مع الزجاج المحنّى بالمشروب ثمرات إبداعات مختلفة المذاق.

ما سر هذا الزخم مؤخراً في العطاء الفكري المدون؟

- في الحقيقة أنا أتعهد الأمر، لأنني لا أريد أن يطغى التلفزيون عليّ، وأنا خيار كما أردد دائماً هو خيار الشاعر،

والأجنحة الأدبية حافلة جداً لهذا العام فبعد إصدار «قهوة سادة»، ستصدر لي مجموعة مختارات شعرية من دواويني السابقة في الجزائر بمناسبة يوم الشعر العالمي، حيث سأحيي أمسية شعرية، كما سأحل ضيف شرف على معرض الكتاب في مسقط، وسيكون لدي أمسية ومحاضرة بعنوان «الشعر بين الحبر والضوء»، بمعنى بين الكتابة والتلفزيون، وفي السادس من نيسان سأحيي أمسية في الدوحة ضمن إطار احتفالات الدوحة عاصمة للثقافة العربية، وكذلك في أواخر مايو ستكون هناك أمسية مشتركة شعرية غنائية برفقة الفنان مارسيل خليفة في العاصمة الأردنية عمان، ويعود ريع الأمسية لمجموعة من الطلاب الفلسطينيين تحت اسم «منحة محمود درويش»، فضلاً عن مشاركات كثيرة في لبنان.

لماذا } «قهوة سادة»؟

- لقد كتبت سابقاً مجموعة نصوص لها علاقة بمقاه محددة في بيروت، فمثلاً كتبت مجموعة كبيرة من النصوص عندما أقفل مقهى الـ«ويمبي»، وعن الـ«كافيه دو باريس»، وعن الـ«سيتي كافيه» ومقاه أخرى، ولكنني في «قهوة سادة» أكتب عن المقهى عموماً وما يميزه في بيروت قياساً مع المقاهي في المدن الأخرى، عربية كانت أم غربية، وخصوصاً أن المقهى ذو منشأ شرقي، فأول مقهى افتتحه سوريان في اسطنبول في القرن السادس عشر، ومنذ ذلك الحين والمقهى يلعب دوراً سياسياً، حيث يتجمع فيه المثقفون ومعارضو السلطات، ولذلك كانت السلطات تلجأ إلى إقفال المقاهي، بينما اليوم يقفلون الصحف ويوقفون الأحزاب، فالكتاب هو في الأساس عن المقهى، ولكنه يدور في صفحاته حول المدينة عموماً.

خارج } المكان والزمان

بين الوجدان، والواقع، والخيال، ماذا تحمّل القصيدة أولاً؟

- أحملها صدقي وإيماني بالحياة أولاً وبالإنسان ثانياً، فأحياناً أشعر أن لحظة كتابة القصيدة هي لحظة خارج المكان والزمان، لها علاقة بالمتخيل وبالغيب واللامرني، ولكن في الوقت نفسه هي ابنة المكان والزمان نظراً لعلاقتها الوثيقة بالواقع، وبما يتعرض له الإنسان من أفراح وأتراح في حياته، فأنا أشعر بأنني مزيج من هذين الأمرين، أي من الواقعية الشديدة ومن الخيال المحلّق، ولعل ما يميز الشعر عن النثر أنه يقول نفس الأشياء ولكن بطريقة مختلفة، فهو يقول الواقع بلغة غير واقعية أحياناً، إلا أنه في نهاية المطاف ينطلق من هذا الواقع ويعود إليه، وأي إبداع لا يمس الوجدان الإنساني ولا يعبر عن الإنسان، فأنا أضع عليه علامة استفهام.

} ما الأنجع في خلق صلاية أدبية، الانغماس في المثاليات والعوالم الخاصة، أم الاعتراك بالواقع وخوض مناكفاته؟

- بكل بساطة أقول الانغماس بالحياة بما فيها من مثاليات وقيم وسعي نحو السمو والنبل، ونحو الأعلى بكل ما

يمثله هذا الأعلى، إلى جانب ما في الحياة من فساد وقهر وظلم وطغيان، ولقد عشت الحياة بأشكالها وبمراحلها المختلفة، واختبرت ما فيها من ابتسامات ومن دموع، من شقاء ومن متع، هذه الحياة شاقة وشيقة في نفس الوقت، وأنا تدرجت فيها من طفل يلهو بالوحوّل وبالأعشاب تحت المطر برفقة الرعاة والقطعان، إلى مقدم برامج يلمع تحت الأضواء، وبين ذاك الطفل وهذا الرجل مسافة طويلة من الأحداث والوقائع، ومن المعاشات والاختبارات، فكلما انغمس المبدع بالحياة يكتشف أنها ليست أبيض وأسود فقط، أي ليست خيراً أو شراً، فقد تكون المساحات الرمادية هي الأكثر انتشاراً، وإن ما يفعله الإبداع هو جعل الحياة أخف وطأة وبساطة، فتخلي لي لو أغمضنا أعيننا لبرهة وتصورنا هذه الحياة بلا موسيقى، بلا ألوان، بلا شعر، بلا فنون، هل كانت نطاق؟ ماذا يبقى؟ يبقى العمل والعرق والتعب والكدح، وجمع المال، أو الفقر والقمع والاضطهاد، فالفنون عموماً تجعل الحياة أخف وطأة، وأنا بصراحة أنحاز إلى الخير وإلى الجمال والحب والفرح، وأحاول أن أثبت بشيء من ذلك حولي، وأن أبشر بالأمل وبالتفاؤل دائماً، وأهتدي بمقولة سعد الله ونوس «إننا محكومون بالأمل»، فأنا أعتبر الحياة محبرة كبرى أغمس فيها ريشتي لكي أكتب قصيدي أو نصي.

الواقع الثقافي.. والسياسي

{ في ظل الانقسامات السياسية الحاصلة، إلى أي مدى يتحلى أدباء المرحلة بالحرية وبالجرأة؟ }

- لا يمكننا التعميم في الإجابة عن هذا السؤال، فهناك أقلام وأصوات نزيهة وجريئة وموضوعية في مقاربتها للأمور، وهناك جزء من الوسط الإعلامي والثقافي على دين ملوكه، وأحياناً نرى أن الواقع الثقافي والإعلامي هو انعكاس للواقع السياسي وهذا مؤسف، لأن ما يؤمل من المثقف هو أن يكون صاحب موقف نقدي ومستقل، وأنا على مسافة واحدة من جميع اللبنانيين، فقد أصفّق اليوم لرأي ما أعجبنى وأرتأيت فيه الصواب، وليس بالضرورة أن أكون على حق، ثم في موقف آخر تراني أرجم نفس الشخص لمجانبته الصواب أو لارتكابه خطأ ما. فأنا ضد الفردية ولا أقدم أي رأي سياسي، أو أي زعيم، حتى عندما أعجب بشخصية عامة أو سياسية فلا أعصمها عن الخطأ، فما من إنسان معصوم.

{ وما رأيك بالننتاج الأدبي في هذه المرحلة؟ }

- أنا أرى أن بيروت مزدهرة، فهناك أعداد كبيرة من الكتب الشعرية التي تصدر في بيروت سواء لشعراء لبنانيين أو عرب، ولكن ما ألاحظه في الشعر الحديث بالأخص هو الإغراق في الذاتية وفي الشؤون الفردية، فالشاعر يكتب عن غرفته وعن سريره وطاولته، أنا لست ضد ذلك طبعاً، ولكن أعتقد أن على الشاعر أن يخرج من نطاق ذاته إلى الفناء الواسع للحياة، وأن يعبر عن الإنسان عموماً، فأتمنى أن نجد خطأ جديداً في المشهد الشعري الحديث بعيداً عن الاستنساخ والتشابه، وخصوصاً عند جيل الشباب، كما تشهد الرواية ازدهاراً، وكذلك المسرح حيث نجد أعمالاً عدة في الموسم الواحد، قد لا تكون على نفس السوية الفنية، ولكن قياساً مع السنوات الماضية أرى أن الوضع أصبح وأفضل، فأنا متابع جيد للحركة المسرحية وقد أصدرت كتاباً في هذا المجال.

وحيداً.. في كنف امرأة

{ أنت صاحب نظرة تفاولية هنا، ولست مع فكرة معاناة الحركة الثقافية من الانتكاسة أو حتى الركود؟

- ما يطفو على السطح

لا يعبر عن الحقيقة أحياناً، وله علاقة بالمجاملات وبالعلاقات العامة، وبأشياء أخرى، ولكن إذا دققنا بالعمق سنجد كثيراً من الإبداعات العربية الجيدة، والتي تعبر عن الإنسان العربي وتلامس الوجدان الإنساني عموماً، سواء على مستوى الرواية أو الرسم أو المسرح أو الموسيقى، إلخ.

{ لطالما أقررت بعرفانك وبتقديسك للأنثى، هل لهذا علاقة بانغماسك في تجارب من سبقك من مبدعين، والذين لا تنفك عن التغني بإبداعاتهم بمناسبة وبغير مناسبة؟

- أولاً له علاقة بتجربتي الحياتية، فقد عشت وحيداً في كنف امرأة هي أمي، والتي كانت بالنسبة إلي الأم والأب والأخ والصديق، فشاهدت وعاشت عن قرب تجربة المرأة في هذا الشرق، وما يعترضها من تحديات تجعلها أكثر صلابة، وقد يرجع ذلك إلى أنني ومنذ يفاعتي قرأت كثيراً وكثيراً لأدباء عرب وأجانب، وكنت أشد إعجاباً وانحيازاً لأولئك المنحازين للمرأة والمنادين بالمساواة، والذين ينظرون إليها ككائن حي قبل أي شيء آخر، إلا أن الأساس هو لتلك النشأة في كنف أمي التي أورتني أشياء كثيرة، ومنها الشعر والخجل والتواضع والشجاعة.

نتاج لم ينل ما يستحقه

{ من هنا ما رأيك بالتجربة الشعرية والأدبية النسائية الحديثة؟

- هناك تجارب جيدة وهناك تجارب عادية ومتواضعة، وأنا لا أستطيع الحكم على التجارب، فالأمر يحتاج إلى تحليل معمق ومفصل، ولكني أرى أن النتاج الإبداعي للمرأة لم ينل ما يستحقه بعد من قراءة نقدية، ومن تحليل نقدي ولم يسلط الضوء عليه كما يجب، وربما يعود ذلك لكوننا نحيا في مجتمع ذكوري وتحت وطأة سلطة ذكورية حتى على المستوى الثقافي والنقدي والإبداعي. وأنا شخصياً أتابع النتاج الأنثوي وأقرأ من لميعة عباس عمارة ونازك الملائكة وفدوى طوقان وغادة السمان وليلي بعلبكي في الرواية، وصولاً إلى سعدية مفرح وأحلام مستغانمي وليلي العثمان وجمانة حداد وسهام شعشاع وعلوية صبح وعناية جابر.

أكبر مكتبة شعرية

انضم وهيبي في 25 فبراير المنصرم إلى إدارة الشعر المستحدثة في شركة روتانا، والتي دشنت افتتاحها الأمير الوليد بن طلال ضمن أمسية شعرية أقامتها الشركة للأمير سعود بن عبد الله، حيث من المتوقع أن تمتلك أكبر مكتبة شعرية في الشرق الأوسط.

وقد نوه وهيبي بأهمية الاستثمار في مجال الشعر، مؤكداً «أن الأقرص المدمجة لا تفقد الشعر قيمته الشعرية أو الثقافية بل إنها تنقل رسالته إلى أكبر شريحة من الناس»، مشيراً إلى عدم طموحه لتحويل قصائده أغاني، «إلا عبر تجارب لا تقل أهمية عن سابقتها من قصائده المغناة بأصوات الفنانين العرب الكبار».

تاريخ النشر : 09-03-2010